المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 12 A آذار 2024
No.12A March 2024

أثر السياق في تغيير دلالة المفردة في التعبير القرآني (المكر، الكيد، الخداع، الاستهزاء) اختياراً

م.د تيسير قاسم عطية
جامعة الشطرة / كلية التربية للبنات
tayseer.qasim@shu.edu.iq

المستخلص:

يتضمن البحث الكشف عن دور السياق في إعطاء دلالة المفردة ، وتغييره واختلافه عن معنى المفردة في سياق آخر، وقد تعرض البحث لمجموعة من المفردات (المكر، الكيد، الخداع، الاستهزاء) في السياق القرآني وما أعطته من دلالات مختلفة، وقد خرج البحث بنتيجة مفادها أنَّ للسياق دوراً أساسياً في تحديد معنى المفردة وتغييره في النص القرآني.

الكلمات المفتاحية: دلالة – سياق – معنى – مفردة – تغيير.

The Impact of Context in Changing the Meaning of the term in the .Qur'anic Expression(cunning, malice, deception, mockery

Tayseer Qasim Attia
University of Shatra. College of Education for Girls

Abstract

The current research, entitled “The Context Role of changing the Word Meaning of the Quranic Expression: Deception, Trick, Cheating and Insulting as a Sample ”, deals with the role of context in giving several senses to the same word in different situations . the research refers to a number of lexical words such as deception, trick, cheating and insulting in the Quranic context. The research has reached the conclusion that the context has an important role in determining the meaning of the intended word in the Quranic text.

Key words: pragmatics context meaning lexical word change.

المقدمة

الحمد لله على تمام فضله وإكرامه ، وعلى سابغ إحسانه وإنعامه ، والصلاة والسلام على الرسول ، المصطفى الأمجد ، المنصور المؤيد ، المحمود الأحمد ، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد ...

أمَّا بعد ، فقد أنزل الباري (عزَّ وجلَّ) كتابه الكريم المعجز وجعله نبراساً وضياءً للبشر يستمدون من نبعه الهداية في الدين والدنيا ، والمتدبر للقرآن الكريم يجد عظمة هذا القرآن الكريم بتبيين وتنظيم الحياة الاجتماعية والانسانية وتقنين الأنظمة التي تهدف إلى تنظيم شأن الإنسانية ، والدراسة في هذه المعجزة هي محل التكريم والشرف لبيان ما في مكنونه من دلالات ، ولا يخفى أنَّ السياق القراني يزخر بالدلالات القرآنية المتجددة وهو اللّبنة الأساس في قواعد التفسير للتعبير القرآني ، إذْ تدور جميع العلوم الشرعية بتفرعاتها جميعها ضمن السياقات على اختلافها سواء أكانت نصوصاً أم مفردات، والسياق هو الحكم الفصل في المعاني المحتملة والمرجح لإحدها دون الآخر .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لبيان مدى التغير الدلالي الذي يحدثه السياق في التعبير القرآني فالدلالة القرآنية متنوعة بحسب السياق الذي ترد فيه الألفاظ ، وقد تم أختيار بعض المفردات لبيان هذا التغيير في الدلالة بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية وأنتهى البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

المبحث الأول

أولاً:- السياق

السياق لغة : السين والواو والقاف أصل وهو حدود الشيء يقال ساق يسوق ، والسيقة ما سيق من الدواب ، والسوق مشتقة من هذا كما يساق إليها مذكر شيء والجمع أسواق ، وساق للإنسان وغيره والجمع سوق وإنما سميت بذلك لأنَّ الماشي يساق عليها (1)، وهو يسوق الحديث أحسن سياق وإليك يساق الحديث ، وهذا الكلام ساقه إلى كذا وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده (2).

لا يخفى على الباحثين ومن يعتنون بدراسة اللغة العربية ما للسياق من دور في إنتاج المعنى ، وهذه النظرية التي ولدت في العصر الحديث احتلت مجالاً كبيراً من الفكر الغربي لما لها من أهمية كبيرة في توجيه دلالة المفردات وبلور الغرب هذه النظرية ((وأعانهم في ذلك تطور وسائل البحث اللغوي واكتشاف كثير من الحقائق اللغوية المهمة ، ولا سيما في علمي الدلالة والأصوات))(3). ويُلحظ أنَّ هذه النظرية لها سبقٌ عند العلماء العرب و يتضح هذا جلياً من خلال الإطلاع على بعض النصوص التي تشير إلى هذه النظرية والتي تشير إلى دور السياق في إيضاح المعنى وإبرازه ولكن لم تظهر على شكل نظرية مثلما ظهرت في العصر الحديث .

والمتتبع لنتاجات ودراسات العلماء العرب القدماء يُلحظ أنَّها قد حوت على بعض الإشارات السياقية المميزة ومن هذه الإشارات ما ورد في رسالة الشافعي (ت 204هـ) الفقهية إذ تطرق إلى أثر السياق في فهم المعنى المحدد للألفاظ وفي تخصيص المعنى العام للآيات أو العكس حيث استعان بالسياق اللغوي لبيان المعنى ومن كلامه :((وعاماً ظاهراً يُراد به الخاص وظاهراً يُعرف في سياقه أنَّه يُراد به غير ظاهره . فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره))(4).

وأورد الجاحظ (ت255 هـ) إشارة إلى هذه النظرية بقوله ((ومن علم حق المعنى أنْ يكون الاسم له طبقاً ، وتلك الحال له وفقاً ، ويكون الاسم له لا فاضلاً ولا مفضولاً ولا مقصراً ... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم وعلى أقدار منازلهم))(5)
أمَّا ابن جني (ت392هـ) يُلحظ في دراساته ما يدل على أهمية معرفة السياق فهو يضرب مثلاً عن سياق الحال بقوله : ((رفع عقيرته ، إذا رفع صوته .. وإنَّما هو أنَّ رجلاً قُطِعتْ إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته ، فقال الناس : رفع عقيرته ، أي : رجله المعقورة ... ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ، ما لا تؤديه الحكايات ، ولا تضبطه الروايات ، فتُضطر إلى قُصود العرب ، وغوامض ما في أنفسها ، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة، لا عبارة ، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه))(6)
ومن قول ابن جني يُلحظ أنَّ لديه إشارات إلى سياق الحال ، وننتقل إلى عالم عربي آخر وهو عبد القاهر الجرجاني (471هـ) تُلحظ إشارته إلى السياق بقوله: ((اعلم أنَّ ليس النظم إلا أنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلُّ بشيء منها))(7).
يتضحُ من هذا مدى عناية الجرجاني بصحة الكلام وصحة الكلام مرتبطة بصحة المعاني الناتجة عن فكرة الموقعية ، وهذا سياق لغوي .

وكذلك أشارَ ابن خلدون في مقدمته إلى نظرية السياق بقوله : ((إنَّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني ، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة ، أو نقصانها وليس ذلك بالنظر إلى المفردات ، وإنَّما هو بالنظر إلى التراكيب ، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصودة للسامع))(8). ممَّا تقدم يُستنتج أنَّ ابن خلدون يريد بهذا الكلام الإشارة إلى نظرية السياق .

هذا فيما يتعلق بنظرية السياق وجذورها عند علماء اللغة العرب القدامى ، وأمَّا عن النظرية في العصر الحديث فنجدها قد تبلورت على شكل نظرية ، فقد أشار أكثر من واحد إلى هذه النظرية ومن هذه الاشارات إشارة العالم الانكليزي فيرث (j . R . Firth) فقد عمد إلى صياغة نظرية السياق الحديثة التي أصبحت فيما بعد مرجعاً لأصحاب المنهج السياقي ومن أهم أصولها : إنَّ المعنى يتركب من مجموعة من الوظائف اللغوية ، وأهم عناصر هذا التركيب هو الوظيفة الصوتية ، ثم المورفولوجية ، والنحوية والقاموسية والوظيفة الدلالية لـ(سياق الحال) ، ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها الذي يراعى عند دراستها (9). فهو يرى أنَّ المعنى نتيجة علاقات متشابكة متداخلة.

ويرى فندريس أنَّ الذي يُعين قيمة الكلمة في السياق هو السياق ، وأنَّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً ، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتفرعة التي في وسعها أنْ تدل عليها والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها (10).

وقد تعرض العالم اللغوي دي سوسير للسياق بقوله : ((إنَّ الكلمة المستعارة والمنقولة على الخصوص لا يمكن النظر إليها في حد ذاتها عندما تدرس داخل النظام ؛ إذ لا وجود لها إلا في علاقتها وفي تقابلها مع الكلمات الأخرى التي ارتبطت بها مثلها في ذلك مثل أي رمز محلي أصلي لم يدخل عليه نقل))(11). ومن هذا نلحظ أنَّ للسياق دوراً عند دي سوسير في كون اللغة مجموعة متناسقة من العلاقات المترابطة والقائمة بين العناصر اللغوية .

وإذا انتقلنا إلى جون لا ينز يُلحظ أنَّه يلغي أي دور للكلمة في استقلالها بمعنى محدد ويمنح السياق الدور الأول في إعطاء المعنى للمفردة بقوله : ((لا يمكن فهم أي كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها ، والتي تحدد معناها))(12).

ولا يختلف الأمر عند اللغويين المحدثين من العرب حيث ذهب محمد حماسة إلى القول : ((إنَّ الكلمة عندما تدخل بوصفها جزءاً في مركب اسمي تنتقل إلى مجال دلالي آخر فترفض الاستجابة النحوية لما كانت تستجيب له من قبل وتصبح صالحة للاستجابة إلى كلمات أخرى))(13).

أمَّا الدكتور أحمد مختار عمر فقد أفرد قسماً خاصاً بنظرية السياق في كتابه علم الدلالة، يذكر التعريفات المتعددة لعناصر السياق ، ويذكر أنواع السياق وهي السياق اللغوي – السياق العاطفي – سياق الحال – السياق الثقافي(14).

ولا يختلف الأمر عند تمام حسان إذ ليس للفظ إلا معنى واحدا يحدده السياق ؛ لأنَّ الكلمة في المعجم لها معنى (متعدد ومحتمل) ولكن معنى اللفظة في السياق واحد لا يتعدد ؛ لأنَّه يوجد في السياق قرائن تعين على اختيار معنى واحد من بين المعاني المختلفة التي تجدها في المعجم ؛ وكذلك لأنَّ السياق يرتبط بمقام معين يحدد المعنى في ضوء القرائن الحالية (15).

ونخلص ممَّا تقدَّم أنَّ السياق عامل مهم وأساسي في تحديد المعنى للفظ الوارد فيه ، فضلاً عن توضيح المعنى وبيان دلالته ، وأنَّ السياق اللغوي واحد من السياقات الكثيرة التي تساعد المتلقي على فهم المعنى المقصود .

ثانياً :- التغير اللغوي (الدلالي) :-

مسألة التغير في المعنى (دلالة المفردة) من المسائل التي شغلت مجالاً واسعاً وأهمية بالغة في نتاجات علماء اللغة القدامى والمحدثين ، وقد تطرق لها العلماء في دراساتهم وأولوها اهتماما وذكروا أنَّ لهذا التغير مستوياتٍ وهي : توسيع الدلالة ، وتضييق الدلالة ، ورقي الدلالة، وانحطاط الدلالة.

ولغتنا العربية هي إحدى اللغات العالمية التي تعرضت لناموس التغير ، وهذا التغير الذي حصل فيها له خصوصية تميزها عن اللغات الأخرى ، وحتى تخضع اللغة لقانون التغير، يجب أنْ يلمس المتكلمون بها قصر الألفاظ عن تأدية المعاني المرادة ، وحاجتهم الماسة إلى التغيير ، دون دخول عامل القصدية (16).

والتغير الدلالي للألفاظ له طريقة يبينها بصورة واضحة ويبسطها العالم (ستيفن أولمان) إنَّ المعنى هو علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول ، ويقع التغيير في المعنى كلما وجد أي تغير في هذه العلاقة الأساسية ، وينحصر أوجه التغير في هذه العلاقة في صورتين اثنتين : فقد يُضاف مدلول جديد إلى مدلول قديم ، أو كلمة جديدة إلى مدلول قديم .(17)

أَمَّا إبراهيم أنيس فإنَّه يصف ظاهرة التطور الدلالي بالشائعة في اللغات كلها إذ يقول : ((فتطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات ، يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة ، وأطوارها التاريخية ، وقد يعدَّه المتشائم بمثابة الداء الذي يندر أنْ يفر أو تنجو منه الألفاظ ، في حين أنَّ من يؤمن بحياة اللغة ، ومسايرتها للزمن ، ينظر إلى هذا التطور على أنَّه ظاهرة طبيعية دعت إليها الضرورة الملحة)).(18)

ويصف عودة خليل أبو عودة هذا التطور بالأمر الحتمي يشبه أنْ يكون وجهاً من وجوه تطور الحياة نفسها ، وهو في معناه البسيط : التغير الذي يطرأ على اللغة سواء في أصواتها أو دلالة مفرداتها ، أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة ، أو النقصان الذي يصيبها ، وذلك نتيجة عوامل مختلفة ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الأمم في مجالاتها كافة ، وتتأثر اللغة في تطورها وارتقائها بعوامل عامة كثيرة ، ويعد هذا التغير في المعنى جانباً من جوانب التطور اللغوي.(19).

ويحدث التغير الدلالي في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها ؛ وأعني بذلك الألفاظ التي تؤلف منها اللغة ، هذه الألفاظ يخضعها الاستعمال فتحدث فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية جديدة يستدعيها الزمان والمكان ، وليست العربية بدعاً من بين اللغات ، ذلك أنَّ اللغات كافة تخضع لسنة التطور ، وأنَّ الكلمة في كثير من اللغات مادة يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها فتجد فيها الحياة ، فتتطور وتتبدل ، وربما اكتسبت خصوصيات معنوية أبعدها الاستعمال عن أصلها بعداً قليلاً أو كثيراً.(20)

بعد التطرق لمفردتي السياق والتغير اللغوي نلحظ أنَّ للسياق دوراً في تغير دلالة للمفردات ولنأخذ مثلاً لفظ اليد في السياق القرآني فقد جاءت بمعنى اليد الجارحة كما في قوله تعالى : ((**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)) {المائدة:38}، ونجدها في سياقٍ آخر جاءت بمعنى القوة والسيطرة في قوله : ((**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**)) {الفتح:10}.

وجاءت بمعنى القدرة في سياق آخر في قوله تعالى : ((**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**)) {المائدة : 64} واستعملت كلمة اليد بمعنى العطاء وبمعنى البذل في قوله تعالى :((**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**)) {الإسراء:29} وغيرها من المواضع في السياق القرآني وغيره .

المبحث الثاني

دلالة المفردات (المكر ، الكيد ، الخداع ، الاستهزاء) في التعبير القرآني .

أولاً :- المكر :- المكر في اللغة ((احتيال في خفية ، والمكر احتيال بغير ما يضمر ، والاحتيال بغير ما يبدي هو الكيد والكيد في الحرب حلال والمكر في كل حال حرام)).(21) ، وعرَّفه ابن فارس : ((الميم والكاف والراء كلمتان متباينتان : احداهما المكر الاحتيال والخداع ومكر به يمكر ، والأخرى خدالة الساق)).(22) ، يُلحظ من المعنى في اللغة أنَّ (المكر) يدل على الاحتيال والخديعة في الخفية من قبل المحتال .

المكر في الاصطلاح :- ((المكر من جانب الحق تعالى هو إرداف النعم مع المخالفة ، وإبقاء الحال مع سوء الأدب ، وإظهار الكرامات من غير جهد ، ومن جانب العبد أيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر)).(23) ، هو صرف المقابل عمَّا يقصده بحيلة ، وذلك ضربان : مكر محمود ، وهو أنْ يتحرى به فعل جميل وعلى ذلك قال تعالى :((**واللهُ خيرُ الماكرين**)) ، ومكر مذموم وهو : أنْ يتحرى به فعل قبيح قال تعالى :((**ولا يحيقُ المكرُ السيء إلا بأهله**)).(24) من خلال التعريف الاصطلاحي نلحظ أنَّ مفردة المكر تدل على العمل القبيح المكروه الخفي وصاحبه يريد الإطاحة بالممكور به بالتدبير في إيصال الشر إليه .

بعد معرفة معنى المكر في المعجم (المعنى المركزي) نذهب إلى معناه في سياق التعبير القرآني ، لنرى المعنى هل فيه تغير بتغير السياق ، أو المعنى نفسه ، فقد وردت مفردة المكر في السياق القرآني في ثلاثة وأربعين موضعاً في مختلف صيغها وتصريفاتها ، وعدد السور الواردة فيها لفظة المكر أربع عشرة سورة ، وعدد الايات ثلاث وعشرون آية (25). ويُلحظ من خلال الاطلاع على المواضع والسياقات التي وردت فيها هذه اللفظة أنَّ معناها يتغير من سياق إلى آخر وسبب هذا التغير هو السياق ، ولمعرفة هذا التغير نأخذ السياقات التي وردت فيها اللفظة قوله تعالى :((**اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**)) {فاطر: ٤٣} لفظة مكر في هذا السياق تدل على نوع المكر المذموم وهو المكر الذي وصفه الحق سبحانه بكلمة السيء ، وكذلك إضافة كلمة السيء للمكر في الآية نفسها للدلالة أنَّ المقصود من هذه اللفظة في هذا السياق بالمكر الذي ذمه الله سبحانه وتعالى وهو مكر مذموم ، قال الزمخشري : ((ومكر السيء معطوفاً على نفوراً ، فهنا يذكر المفسرون أنَّ لفظ المكر أضيف إلى السيء وهو صفة وبهذا تكون دلالة لفظة المكر في هذا السياق دلالة مذمومة ، أي المكر بمعنى الاحتيال وهو الصادر من المشركين الذين جعلوا لله شركاء)).(26) ، قال الآلوسي : ومكر السيء الخداع الذي يرومونه برسول الله(ﷺ) والكيد له ، وهو الشرك.(27)

وعند مطالعتنا لآيات القرآن الكريم التي وردت فيها لفظة مكر ومشتقاتها نلحظ أنَّ هذا المكر متنوع بين فئات أمثال مكر الكافرين ، ومكر الشيطان ، ومكر المنافقين ، ومكر أهل الكتاب وغيره ، وكل هذا المكر هو من النوع المذموم الذي يحمل دلالة الاختفاء والحيلة وإيذاء الآخر .

يُلحظ ممَّا تقدَّم أنَّ دلالة لفظة (مكر) في هذا السياق دلالة مذمومة وهو مكر المشركين للرسول (ﷺ) بإيذائه وعبادة غير الله سبحانه وتعالى .

وفي سياق آخر من السياق القرآني نقف عند دلالة لفظة (مكر) في قوله تعالى : ((**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**)){ الأنفال: ٣٠} ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية دلالة لفظة (يمكر) في بداية الآية القرآنية ، وهو مكر المشركين بالرسول (ﷺ) فقد كانوا يخفون المكايد له لما ختم الله عليه حين كان في مكة وكيف الله سبحانه وتعالى أنجاه من مكرهم ومعناه ، أنَّ قريش مكروا بالرسول (ﷺ) في ذلك الزمن عندما بايعوه ونقضوا البيعة (28) ، وفي الآية ذاتها نطالع لفظتي (يمكر الله) ، و(الله خير الماكرين) ، والسؤال هنا هل دلالة لفظة يمكر الله والله خير الماكرين دلالة على المكر بمعناه اللغوي المعجمي (المركزي) الذي معناه الحيلة والاحتيال والخديعة والالتفاف ، حاشا لله أنْ يكون كذلك عندما وضعت الكلمة في هذا السياق مع الله سبحانه وتعالى ، نلحظ

تغيراً واضحاً في دلالتها عن الدلالة المعجمية (المركزية) وعن سياقٍ آخر ، يذكر بعض المفسرين : إنَّ معنى (يمكر الله) يخفي الله ما أعدَّ لهم حتى يأتيهم بغتة وأنَّ مكر الله أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً ؛ لأنَّه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ، ولا يصيب إلا بما هو مستوجب(29) وبهذا أنَّ المكر المنسوب لله سبحانه وتعالى يختلف عن مكر المخلوقين ، فمكر الله هو مكر مقابلة للماكر والمعتدي وهو جزاء على عمل وبهذا فهو مكر حسن .

ونلحظ في سياقٍ آخر ورود لفظة مكر في قوله تعالى : ((**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**))} آل عمران: ٥٤} ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية دلالة لفظة (مكروا) على مكر كفار بني اسرائيل الذين أحس منهم الكفر ، ومكرهم أنَّهم وكلوا من يقتل عيسى ؛ لأنَّهم أرادوا قتله ، فدخل رجل منهم فألقي عليه شبه عيسى ، ورفع عيسى إلى السماء ، فلما خرج إليهم ، ظنوه عيسى فقتلوه.(30) ومن هذا يُلحظ أنَّ دلالة لفظة (مكروا) على المعنى المذموم وهي دلالة على الاحتيال والخديعة ، في حين نلحظ دلالة (مكر الله) في الآية نفسها ، ودلالة (خير الماكرين) تختلف عن الدلالة السابقة ؛ لأنَّها أضيفت ونسبت لله سبحانه وتعالى ، فالمكر من الله وُصِفَ أنَّه الاستدراج وليس على مكر المخلوقين ومعنى ويمكر الله أنَّ الله سبحانه وتعالى يفعل أفعالاً كتعذيب بعضهم وعقوبتهم ، وكذلك إبطال لمكر الماكرين ورده ودفعه وهذا هو الأرجح ، أمَّا أنْ يُضاف المكر إلى الله على ما يُعرف بالمعنى اللغوي فغير جائز.(31)

وذكر الطبري إنَّ معنى (مكر الله) في سياق الآية هو استدراجه إياهم ليبلغ الكتاب أجله ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم ، ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى : ((**إنِّي متوفيك ورافعك إلي**)) {آل عمران : 55} فتوفاه ورفعه إليه ، يُلحظ ممَّا تقدَّم أنَّ معنى (مكر) المضاف إلى لفظ الجلالة (مكر الله) ، و(خير الماكرين) هو معنى المكر الحسن وليس المكر المذموم ، وهو مكر مجازاة على الأفعال ، أي هو مكر بمن يمكر فقط وليس مكر بمن لا يمكر.(32)

ولا يختلف المعنى في قوله تعالى : ((**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**)) {الأعراف: ٩٩ } ذكر الزمخشري أنَّ مكر الله في سياق هذه الآية استعارة لأخذ العبد من حيث لا يشعر ، ولاستدراجه ، فعلى العاقل أنْ يكون في خوفه من مكر الله ، وهذه الآية معطوفة على الآية السابقة (أفأمنَ أهل القرى) وفي هذا دلالة على أنَّ مكر الله هو مجازاة لمن يمكر بالله سبحانه وتعالى.(33)

ثانياً :- الكيد :- الكَيْد لغةً : الكَاف والياء والدال : أصلٌ صحيحٌ يدلُ على معالجة لشيءٍ بشدة ، ثم يتسع الباب وكله راجع إلى هذا الأصل ثم يسمون المكر كيداً ، قال تعالى :((**أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ**)) {الطور: ٤٢ }.(34) والكيد من المكيدة ، وقد كادَه مكيدةً ، والكيد الخبث والمكر ، كادهُ يَكيدُه كيدًا ومكيدةً ، وكذلك المكايَدَةُ والكيد الاحتيال والاجتهاد سُمِّيت الحربُ كَيْدًا.(35)

الكيد في الاصطلاح : هو ((إرَادَةُ مضرَّة الغير خُفْيَة ، وهو مِن الخَلْق : الحِيلة السَّيئة ، ومِن الله : التَّدبير بالحقِّ لمجازاة أعمال الخَلْق)).(36)

بعد معرفة المعنى اللغوي (المركزي) والمعنى الاصطلاحي نذهب إلى معناه في سياق التعبير القرآني ، لنرى المعنى هل حصل فيه تغير بتغير السياق ، أو المعنى نفسه ، فقد وردت مفردة الكيد في السياق القرآني في خمسة وثلاثين موضعاً في مختلف صيغها وتصريفاتها ، وعدد السور الواردة فيها لفظة الكيد ست عشرة سورة ، وعدد الايات تسع وعشرون آية.(37) ويُلحظ من خلال الاطلاع على المواضع والسياقات التي وردت فيها هذه اللفظة أنَّ معناها يتغير من موضع إلى آخر وسبب هذا التغير هو السياق ، ولمعرفة هذا التغير نأخذ السياقات التي وردت فيها اللفظة قال تعالى :((**قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ**))}الصافات: ٩٧ – ٩٨} فقد اجتمع بعض الناس الذين أرادوا أنْ يكيدوا لإبراهيم ﴿عليه السلام﴾ وليدبروا له ما فيه هلاكه فاتفقوا على حرقه بالنار ، وحاولوا ، لكن الله أبطل كيدهم وحول هذه النار إلى بردٍ وسلامٍ على إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ وجعل العاقبة له على القوم الكافرين.(38) في

هذا السياق نلحظ معنى لفظة (الكيد) تضمن المعنى السلبي الشر ، أي أنَّ القوم أرادوا إحراق النبي إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ وهذا شر ومذموم.

وفي سياقٍ آخر قوله تعالى : ((**قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ**)){ الأنبياء: ٦٨ – ٧٠} ولا يختلف هذا السياق عن السياق الذي سبقه فقد جاء بحق النبي إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ والذين أرادوا إحراقه وهذا الموضع من السياق أعطى الدلالة السلبية المذمومة للفظة (كيد) وهو الشر .

وفي سياقٍ آخر قوله تعالى :((**فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ**)){طه: ٦٠} وقوله تعالى :((**فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ**)){طه: ٦٤} في هذين السياقين من الايتين الكريمتين نلحظ نوع آخر من الكيد الذي أراد أصحابه الشر بالمقابل وهو كيد فرعون والسحرة ، فقد أرادوا الكيد للنبي موسى ﴿عليه السلام﴾ ، أخذ فرعون يكيد للنبي موسى ﴿عليه السلام﴾ ويجمع السحرة من شتى القبائل ، وجمع الكيد هو التدبير بأسلوب مناظرة النبي موسى ﴿عليه السلام﴾ وتدبير الحيل لإخراج غلبة السحرة عليه ، وإقناع الجمهور الحاضر أنَّ موسى ﴿عليه السلام﴾ ليس على شيء.(39)

يُلحظ من هذا أنَّ المعنى المعطى في السياقين السابقين من الايتين هو المعنى المذموم للكيد ، وهو كيد شر ؛ لأنَّه صادر من فرعون والسحرة ، والدليل أنَّ الله سبحانه وتعالى أبطله ووصفه بقوله تعالى :((**وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ**)){غافر: ٣٦ - ٣٧ } أي أنَّه في خسارٍ وضلالٍ (40) ، وكيد فرعون لم يفلح وأرتد خاسراً مهزوماً وهذا فيه ذم لفرعون ، وبهذا يكون المعنى الذي أعطته لفظة (كيد) في هذه السياقات يدور حول دلالته اللغوية (المركزية) والاصطلاحية ، وهو دلالته على التدبير والخيانة والحيلة في الخفاء.

وفي سياقٍ آخر نأخذ قوله تعالى :((**وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ**)) { القلم : ٤٥ } في هذا السياق يصف الله سبحانه وتعالى كيده بأهل الباطل الذين يكيدون للناس بالمتين أي القوي ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك ، فالله سبحانه وتعالى استدرج العصاة برزقهم الصحة والنعمة فجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقاً إلى ازدياد الكفر والمعاصي ، فالصحة والرزق والمد في العمر إحسان من الله وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ، ولكنَّهم جعلوه سبباً في الكفر باختيارهم ، وسُميَّ إحسانه وتمكينه كيداً كما سماه استدراجاً ؛ لكونه في صورة الكيد حيث كان سبباً للتورط في الهلكة.(41) يُلحظُ ممَّا تقدم أنَّ معنى الكيد في هذا السياق هو كيد مقابلة لأعمال العصاة وهذا المعنى هو معنى حسن ؛ لأنَّه نسب إلى الله سبحانى وتعالى.

وفي سياقٍ آخر قوله تعالى :((**إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا وَأَكِيدُ كَيۡدٗا**)) {الطارق: ١٥ - ١٦} ومعنى الآية أنَّ أهلَ مكة يعملون المكايدَ في إبطال أمرِ اللهِ وإطفاء نورِ الحقِ ، الله سبحانه وتعالى يقابلهم بكيده ، من استدراجه لهم وانتظاره بهم الميقات الذي وقته للانتصار عليهم.(42) وإضافة الكيد إلى الله تعالى تحمل على المعنى اللائق به ، كإبطال مكر أعدائه أو امدادهم بالنعم ثم أخذهم بالعذاب.(43)

ويُلحظ ممَّا سبق فرقٌ كبيرٌ بين كيد الكافرين والسحرة الذين أرادوا الكيد بأنبياء الله إبراهيم ويوسف وموسى (عليهم السلام) وبين كيد الله سبحانه وتعالى بهؤلاء بمقابلته ، فإنَّ الأول كان في الشر ؛ لأنَّهم أرادوا من خلاله إيقاع الضرر بالأنبياء والخلاص منهم بحرقهم وقتلهم ، والثاني في الخير فهو جزاء على كيد الكائدين وعقوبة لهم كي يندموا على خطاياهم ويتوبوا من عملهم ، وبهذا نلحظُ التغير بالدلالة للفظة (الكيد) باختلاف السياق ، فاللفظة مع الله سبحانه وتعالى جاءت بالخير والكيد الحسن ، أمَّا مع الآخرين فقد جاءت اللفظة بمعنى الشر والمذموم.

ثالثاً :- الخداع :- الخداع في اللغة :- الخاء والدال والعين أصلٌ واحدٌ ، الإخداع إخفاء الشيء وبذلك سُميت الخزانة لمخدع ، ومنه خدعت الرجل ختلته ، ومنه الحرب خدعة(44) والخداع إظهار خلاف ما تخفيه ، وخدعه أراد به المكر وختله من حيث لا يعلم.(45)

الخداع في الاصطلاح :- هو إنزال الغير عمَّا هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه ، قال تعالى :((**يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ**)){البقرة: ٩} ، أي يخادعون رسول الله وأولياءه ونُسب ذلك إلى الله تعالى من حيث أنَّ معاملة الرسول كمعاملته ولذلك قال تعالى:((**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا**)) {الفتح: ١٠} وجعل ذلك خداعاً تفظيعاً لفعلهم وتنبيهاً على عظم الرسول وعظم أوليائه.(46)

يُلحظُ ممَّا سبق أنَّ الخداع إرادة الشر والمكروه للآخر بحيلة خفية ظاهرها الخير وهو معنى مذموم وفيه شر للآخرين .

بعد معرفة المعنى اللغوي (المركزي) والمعنى الاصطلاحي نذهب إلى معناه في سياق التعبير القرآني ، للاطلاع على المعنى هل يحصل فيه تغير بتغير السياق ، أو المعنى نفسه ، فقد وردت مفردة (خدع) في السياق القرآني في خمسة مواضع بمختلف صيغها وتصريفاتها ، وعدد السور الواردة فيها لفظة (خدع) ثلاث سور ، وعدد الآيات ثلاث آيات.(47) ويُلحظ من خلال الاطلاع على المواضع والسياقات التي وردت فيها هذه اللفظة أنَّ معناها يتغير من موضع إلى آخر وسبب هذا التغير هو السياق ، ولمعرفة هذا التغير نأخذ السياقات التي وردت فيها اللفظة قال تعالى :((**يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ**)){البقرة: ٩} في هذا السياق وردت لفظتي (يخادعون و يخدعون) بصيغة الفعل المضارع الذي يدل على الحدوث والتجدد ، والمعنى يخادعون الله ورسوله والمؤمنين ، وذلك بأنْ يظهروا من الايمان خلاف ما أبطنوا من الكفر ليحقنوا دماءهم ويحرزوا أموالهم ويظنون أنَّهم قد نجوا وخدعوا وفازوا ، وإنَّما خدعوا أنفسهم لحصولهم في العذاب وما شعروا لذلك (48) وهذه دلالة سلبية ونأخذ قوله تعالى :((**إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا**)) {النساء: ١٤٢} ومعنى هذا أنَّ المنافقين يخادعون الله باحرازهم بنفاقهم دماءهم وأموالهم ، ويفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الايمان وإبطان الكفر(49) وفي هذا السياق يُلحظ أنَّ الخداع جاء من قبل اليهود والمنافقين ولم يأتي بحق الكفار ؛ لأنَّ المنافقين واليهود عداوتهم لله ظاهرة ويعلمون بعداوة الله لهم ؛ لأنَّ الخداع من خلق المنافقين وهو متأصل فيهم ، فهم يخادعون الله والمؤمنين ويخادعون أنفسهم وبهذا تكون دلالة لفظة (يخادعون) في هذا السياق دلالة سلبية ، أي أنّها تدل على المخادعة من قبل المنافقين وهي مخادعة مذمومة وسلبية ، وفي السياق نفسه وردت لفظة (وما يخدعون) وبعدها أداة الاستثناء (إلا) أي أنَّ المراد من هذا أنَّ الخداع راجع على أنفسهم ؛ لأنَّ ضررها يلحقهم ، ومكرها يحيق بهم ،وهذا كذلك معنى سلبي .

وفي الآية نفسها نلحظ مجيء لفظة (خادعهم) ونسبتها لله سبحانه وتعالى ، وهذه اللفظة جاءت بالصيغة الاسمية على وزن (فاعل) ، ودلالة هذه اللفظة في هذا السياق هي أنَّ الله مجازيهم على خداعهم ، لما أمر بقبول ما أظهروا ، وقيل يكون في القيامة بإطفاء نورهم ، أي هو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع بما حكم فيهم من منع دمائهم بما أظهروا بألسنتهم من الايمان ، مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفر ، استدراجاً منه لهم في الدنيا ، حتى يلقوه في الآخرة فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نار جهنم ، وينطبق على الخداع السنة الإلهية المستمرة وهي الجزاء من جنس العمل فهم يخادعون ولكن لا يخدعون ولا ينجح خداعهم لله جل وعلا ؛ لأنَّه خلاف ما يظنون ويقدرون فهو جلَّ وعلا محيط بهم وبمخادعتهم التي يردها عليهم فيفشل خداعهم ويرده خديعة ناجحة عليهم فلا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء.(50)

ومجيء (خادع) بالصيغة الاسمية ونسبته لله سبحانه وتعالى ، و(يخدعون)و(يخادعون) بالصيغة الفعلية فيه دلالة على أنَّ مكر الله بهم هو أقوى وأثبت في حين أنَّ مكرهم لا ينجح ويرد، ومعلوم كما هو مقرر في البلاغة وفي اللغة أنَّ الاسم يدل على الثبوت ، والفعل يدل على الحدوث والتجدد ، والاسم أقوى من الفعل ، هناك فرق بين أنْ تقول (يخادع) ، و(خادع) ومن الثوابت في اللغة والبلاغة أن الاسم يدل على الثبوت في اللغة حتى لو لم يقع.

رابعاً :- الاستهزاء :- هزأ في اللغة :- الهاء والزاء والهمزة كلمة واحدة يُقال هَزِئَ واستهزَأَ ، إذا سخر(51) والسخرية ، تهزأ واستهزَأَ به :سخر قوله تعالى :((**وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ**)){ البقرة: ١٤} وقال تعالى :((**ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ**)){البقرة: ١٥} وهزأ الشيء يهزؤه هزءاً كسره.(52)
هزأ في الاصطلاح :- الهزء مزح في خطية وقد يُقال لما هو كالمزح ، فممَّا قُصد به المزح قوله تعالى :((**اتَّخَذُوها هُزُواً ولَعِباً**)) { المائدة : 58} ، ويُقال هَزِئْتُ به واستهزأت ، والاستهزاء ارتياد الهزؤ وإنْ كان قد يُعبَّر به عن تعاطي الهُزُؤ ، كالاستجابة في كونها ارتياد للإجابة.(53)
يُلحظُ ممَّا سبق أنَّ الإستهزاء والهزء هو شيء مذموم ، وهو السخرية من الاخرين عن طريق التقليل من قيمتهم أمام الآخرين وهذا شيء سلبي .
بعد معرفة المعنى اللغوي (المركزي) والمعنى الاصطلاحي نذهب إلى معناه في سياق التعبير القرآني ، لنرى المعنى هل فيه تغير بتغير السياق ، أو المعنى نفسه ، فقد وردت مفردة (هزأ) في السياق القرآني في أربعة وثلاثين موضعاً بمختلف صيغها وتصريفاتها ، وعدد السور الواردة فيها لفظة (هزأ) خمس وعشرون سورة ، وعدد الآيات ثلاث وثلاثون آية (54) ويُلحظ من خلال الاطلاع على المواضع والسياقات التي وردت فيها هذه اللفظة أنَّ معناها يتغير من سياق إلى آخر وسبب هذا التغير هو السياق ، ولمعرفة هذا التغير نأخذ السياقات التي وردت فيها اللفظة قال تعالى :((**وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ**)){الأنعام: ١٠ } وقوله تعالى :((**وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ**))}الأنبياء: ٤١} وقوله تعالى:((**وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ**))}الرعد: ٣٢} في هذه الآيات المتقدمة يُلحظ تكرار لفظة (أُستُهزِئَ) ثلاث مرات ، ودلالة هذه الفظة في هذه النصوص هو استهزاء الأمم السابقة بالأنبياء الذين سبقوا النبي الأكرم محمد (ﷺ)، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى الرسول محمد (ﷺ) وأخبره باستهزاء الأمم للرسل السابقة لعهده ، وهؤلاء المستهزئون بك من هؤلاء الكفرة أنْ يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذبة رسلها ، فينزل الله بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم.(55) وهذا معنى سلبي ومذموم وهو استهزاء القوم في زمن الأنبياء بأنبيائهم ، وممَّا يُلحظ من هذا السياق أيضاً مجيء اللفظ (أُستُهزِئَ) بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول وتكراره وفي هذا دلالة على تحقيرُ الفاعل وذلك بإهمال ذكره، وحذف الفاعل وبُنِي الفعل للمفعول ؛ لأنَّه لا يستحق الذكر تحقيراً لشأنه ، ونأخذ معنى اللفظة في سياق آخر في قوله تعالى :((**وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ**))}البقرة: ١٤} في هذا السياق وردت لفظة (مستهزئون) والمراد من هذا هو رد للإسلام ودفع له منهم ؛ لأنَّ المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له دوافع لكونه معتداً به ، ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه ؛ لأنَّ من حقر الاسلام فقد عظم الكفر ، والاستهزاء في هذا المقام السخرية والاستخفاف.(56) وهذا معنى سلبي .

وعندما ننتقل إلى سياق آخر في قوله تعالى :((**ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ**))}البقرة: ١٥} في هذا السياق نلحظ لفظة (يستهزئ) جاءت بصيغة الفعل المضارع ومسند فعل الاستهزاء لله سبحانه وتعالى ، ومعنى استهزاء الله تعالى بهم هو إنزال الهوان والحقارة بهم ؛ لأنَّ المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممَّن يهزأ به ، وإدخال الهوان والحقارة عليه ، وممكن أنْ يُسمى جزاء الاستهزاء ، وسبب ابتداء قوله :(الله يستهزئ بهم) ، ولم يعطف على الكلام قبله ، هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة ، وفيه أنَّ الله (عزَّ وجلَّ) هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ ، الذي ليس

استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته ، لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل ، وفيه أنَّ الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم ؛ انتقاماً للمؤمنين ، ولم يقابل الله سبحانه كلامهم فلم يقلْ : (الله مستهزئ بهم) ليكون طبقاً لقوله : (إنَّما نحن مستهزئون) ؛ لأنَّ الفعل (يستهزئ) يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتاً بعد وقت ؛ للإيذان بأنَّ احتقاره لهم ، أو مجازاتهم على استهزائهم يتجدد ويقع المرة بعد الأخرى وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم.(57) ، واستهزاؤه بهم وتوبيخه إياهم ، ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه والكفر به ، ويُلحظ في هذا كذلك اخبار من الله سبحانه وتعالى أنَّه يجازيهم جزاء الاستهزاء ، ومعاقبتهم عقوبة الخداع ، فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم ، مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ ، وإنْ اختلف المعنيان ، كما قال تعالى ((**وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ**)) {الشورى: ٤٠} وهذا دليل على غيرة الله على عباده المؤمنين ، وانتقامه من كل من يستهزئ بهم أو يؤذيهم ، ومعلوم أنَّ الأولى من صاحبها سيئة ، إذ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية ، وأنَّ الأخرى عدلٌ ؛ لأنَّها من الله جزاءٌ للعاصي على المعصية ، فهما - وإنْ اتفق لفظاهما – مختلفتا المعنى ، وكذلك قوله تعالى :((**ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ**))}البقرة: ١٩٤{ ، فالعدوان الأول ظلمٌ ، والثاني جزاءٌ لا ظلمٌ ، بل هو عدلٌ؛ لأنَّه عقوبة للظالم على ظلمه ، وإنْ وافق لفظه لفظ الأول.(58)

وخلاصة القول إنَّ هنالك تغيراً في معنى لفظة (يستهزئ)، وسبب هذا التغير هو السياق، عندما نسبت اللفظة لله سبحانه وتعالى كان معناها جزاءً وعدلاً وعقوبة للرد على فعلهم تجاه الله سبحانه وتعالى ، أمَّا عندما نسبت للمستهزئين بالله فهي كفر وظلم.

الخاتمة ونتائج البحث

يمثل هذا البحث محاولة للكشف عن التغير الدلالي السياقي الحاصل في بعض الألفاظ التي درسها البحث ومعرفة دلالات هذه الألفاظ وتغيرها من سياق إلى آخر. ولعله من المناسب - بعد الاستئناس بآراء العلماء - ذكر بعض الأمور التي استخلصها البحث وهي على النحو الآتي:-

1- كشف البحث أنَّ تغير المعنى يمس اللفظ بصورة أساسية ، والكشف عن المعنى لا يكون إلا بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة ، إذ يتحصل المعنى بحكم العلاقة بين الألفاظ وما يجاورها .
2- إنَّ دراسة المعنى تتطلب تحليلاً واعياً للسياقات والمواقف التي ترد فيها الألفاظ حتى ما كان منها غير لغوي ، فقد دعت إلى اعتماد المقام أو العناصر المحيطة بالموقف الكلامي ، مثل طبيعة الكلام ودلالاته المختلفة ، وأثره الفعلي على المتلقي وشخصية المتكلم والمتلقي والظواهر اللغوية الاجتماعية المحيطة بالنص .
3- إنَّ التغير الدلالي للألفاظ ظاهرة طبيعية تحدث في مراحل تاريخية مختلفة ، ويكون التغير تبعاً ، وتكون بذلك أكثر تجديداً للأحداث والأزمان.
4- التغيرفي المعنى للألفاظ داخل النصوص ظاهرة مألوفة في كل اللغات وهذا التغير تدعو له الحاجة.
5- رصد البحث التغير الدلالي السياقي للفظة (مكر) في سياق التعبير القرآني ، فقد أعطت في سياقات متعددة معنى المكر المذموم وهو الذي يدل على الاحتيال والحيلة والخفية ، وفي سياقات أخرى أعطت المعنى الحسن بإضافة اللفظ لله سبحانه وتعالى وهو دلالته على الاستدراج والجزاء للذين يمكرون .
6- لحظ البحث التغير الدلالي للفظة (الكيد) في سياق التعبير القرآني من سياق إلى آخر فقد أعطت دلالة على تضمن الشر وهو معنى مذموم ، وفي سياق آخر عند إضافتها لله سبحانه وتعالى أعطت معنى المقابلة لأعمال العصاة .

7- هنالك تغير في دلالة لفظة (الخداع) في السياق القرآني ، فقد دلت في سياق على إرادة الشر والمكروه للآخر ، وفي سياق آخر عند إضافتها لله سبحانه وتعالى أعطت دلالة المجازاة على خداعهم واستدراج منه لهم .

8- بين البحث التغير الدلالي للفظة (الاستهزاء) في السياق القرآني ، فقد أعطت معنى السخرية من الآخرين عن طريق تقليل قيمتهم أمام الآخرين وهو معنى سلبي ، وفي سياق آخر عند إضافتها لله سبحانه وتعالى أعطت معنى الجزاء على الاستهزاء لأنَّهم استهزأو بالأنبياء ، ومعنى استهزاء الله بهم هو إنزال الهوان بهم لأنَّ المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والرزاية ممَّن يهزأ به.

هوامش البحث

(1) يُنظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس :(سوق) : 3/ 117.
(2) يُنظر : أساس البلاغة ، الزمخشري :(سوق): 484/1 .
(3) البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن ، ابتهال كاصد ياسر : 287. (أطروحة دكتوراه) ،
(4) يُنظر : الرسالة ، الشافعي : 52، وأثر السياق في توجيه المعنى دراسة تطبيقية في صحيح مسلم ، مريم وصل الله ، دكتوراه ، (2010م)، جامعة طيبة - كلية الآداب والعلوم الانسانية — السعودية : 16.(أطروحة دكتوراه).
(5) البيان والتبيين ، الجاحظ : 1/92-93.
(6) الخصائص ، ابن جني :248/1.
(7) دلائل الاعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني :81.
(8) مقدمة ابن خلدون :378/2 .
(9) يُنظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي محمود السعران : 312.
(10) يُنظر : اللغة ، فندريس : 231.
(11) محاضرات في علم اللسان العام ، فردناند دي سوسير / تر / عبد القادر قنيني : 33.
(12) اللغة والمعنى والسياق ، جون لا ينز : 83.
(13) النحو والدلالة ، محمد حماسة عبد اللطيف :81 .
(14) يُنظر : علم الدلالة : أحمد مختار عمر : 69-71 .
(15) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان : 316 .
(16) ينظر : التغير الدلالي ومستوياته في الخطاب القرآني ، مرازي حكيمة :21 (أطروحة دكتوراه) .
(17) ينظر : دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان : 152 .
(18) دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس : 123 ، ويُنظر : أثر السياق القرآني في تغير دلالة الألفاظ ، عبد الكريم خالد عناية ، وحسام أحمد هاشم :170.(بحث).
(19) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآني الكريم ، عودة خليل أبو عودة :45 .
(20) يُنظر : العربية تطور وتاريخ ، إبراهيم السامرائي :375.
(21) العين ، الفراهيدي :(مكر): 370/5 ، ولسان العرب ، ابن منظور:(مكر): 4247/6.
(22) معجم مقاييس اللغة :(مكر): 345/5.
(23) التعريفات : 293.
(24) يُنظر : مفردات ألفاظ القران : 772 ، والتوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي : 313.
(25) يُنظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي : 671.
(26) يُنظر : الكشاف :162/5 .
(27) يُنظر : روح المعاني ، الآلوسي : 205/22 .
(28) يُنظر : الكشاف : 575/2.
(29) يُنظر : نفسه : 576/2.
(30) يُنظر : زاد المسير :395/1 ، و المحرر الوجيز :443/1 .

(31) يُنظر : المحرر الوجيز :443/1 .
(32) يُنظر : تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القرن ، الطبري :447/5 .
(33) يُنظر : الكشاف : 480/2.
(34) يُنظر : معجم مقاييس اللغة :(كيد): 149/5.
(35) يُنظر : لسان العرب :(كيد): مج 3965/5.
(36) معجم التعريفات : 241.
(37) يُنظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :642.
(38) يُنظر : دلالات مصطلح الكيد في القران الكريم ،عودة عبد الله ، وزهران زهران ، مجلة جامعة النجاح (العلوم الانسانية) ، فلسطين ، المجلد : 31(9)، 2017 :1614،(بحث منشور).
(39) يُنظر : تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور :247/16.
(40) يُنظر : تفسير الطبري جامع البيان:مج329/20.
(41) يُنظر : الكشاف : 191/6-192.
(42) يُنظر : نفسه : 355/6.
(43) يُنظر : دلالات مصطلح الكيد في القران الكريم ،عودة عبد الله ، وزهران زهران ، مجلة جامعة النجاح (العلوم الانسانية) ، فلسطين ، المجلد : 31(9)، 2017 :1617،(بحث منشور).
(44) يُنظر : معجم مقاييس اللغة:(خدع) : 161/2.
(45) يُنظر : لسان العرب :(خدع): مج 1112/2.
(46) يُنظر : مفردات ألفاظ القران : 276.
(47) يُنظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : 227.
(48) يُنظر : المحرر الوجيز :90/1 .
(49) يُنظر : تفسير الطبري جامع البيان: مج7 /611 ، الكشاف : 166/2.
(50) يُنظر : المصدران نفسهما : مج7 /611 -612، 166/2.
(51) يُنظر : معجم مقاييس اللغة :(هزأ) : 52/6.
(52) يُنظر : لسان العرب :(هزأ): مج 4659/6.
(53) يُنظر : مفردات ألفاظ القران : 841.
(54) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : 736.
(55) يُنظر : تفسير الطبري جامع البيان : مج16 /277.
(56) يُنظر : الكشاف : 184/1.
(57) يُنظر : نفسه : 185/1.
(58) يُنظر : تفسير الطبري جامع البيان : مج3 /310-311.

مصادر البحث

1. أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت:538هـ) ، تحقيق : محمد باسل ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – لبنان) ، (الطبعة الأولى) ،(1419هـ – 1998م).
2. البيان والتبيين ، عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)،تحقيق وشرح:عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي القاهرة ،ط7،(1418هـ - 1998م).
3. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، (دراسة دلالية مقارنة)، عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار – الأردن – الزرقاء ،(الطبعة الأولى) ،(1405هـ -1985م).
4. تفسير التحرير والتنوير،تأليف الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور(1393هـ-1972م)، الدار التونسية للنشر(د- ط)،(1984م).

5. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) ،تحقيق:د0عبد الله بن عبد المحسن التركي،هجر للطباعة والنشر-القاهرة ، (الطبعة الأولى) ،(1422هـ - 2001م).

6. التوقيف على مهمات التعاريف ، عبد الرؤوف المناوي (ت1031هـ) ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان ، عالم الكتب ، القاهرة / مصر ،(الطبعة الأولى)،(1410هـ -1990م).
7. الخصائص ،ابن جني ، تحقيق:محمد علي النجار ، دار الكتب العلمية (د- ط)، (د- ت).

8. دلالة الألفاظ ،ابراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، (الطبعة الثالثة) ، (1976م).
9. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه:محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي – القاهرة ،ط5، (2004م).

10. دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور كمال محمد بشر ، الناشر مكتبة الشاب ، مصر ، (د-ت) ، (د-ط).
11. الرسالة ، المطلبي محمد بن ادريس الشافعي ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ، (الطبعة الأولى) (د- ت).
12. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المباني ، تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت1270هـ)،دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان،(د- ط)، (د- ت).

13. زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ) ، المكتب الإسلامي ، (بيروت/لبنان) (الطبعة الثالثة) ،(ت1404هـ -1984م).
14. العربية تطور وتاريخ ، د- إبراهيم السامرائي ، مكتبة المعارف ، (بيروت- لبنان) (الطبعة الأولى) ،(1413هـ -1993م).
15. علم الدلالة ،أحمد مختارعمر ، عالم الكتب ،القاهرة / مصر ، (الطبعة الخامسة)، (1998م).
16. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت / لبنان ، (د- ت) ، (د- ط).
17. العين الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، تحقيق:د- مهدي المخزومي ود- إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد – بغداد (د- ط)،(1985م).
18. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،(ت538هـ)،تحقيق وتعليق ودراسة :الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض وشارك في تحقيقه:د- فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ،مكتبة العبيكان ، (الطبعة الاولى)،(1418هـ -1998م).
19. لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور (ت 711هـ) ،تحقيق:عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة (د- ط) ،(د- ت).

20. اللغة ، ج . فندريس ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة (د- ط) ،(د- ت) .
21. اللغة العربية معناها ومبناها ، د- تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء – المغرب ، (د- ط) ، (1994م).
22. اللغة والمعنى والسياق ، جون لا ينز ،ترجمة :د- عباس صادق الوهاب ، مراجعة : د- يوئيل عزيز ، طباعة ونشر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، (الطبعة الأولى)،(1987م).
23. محاضرات في علم اللسان العام ، فردناند دي سوسير / تر / عبد القادر قنيني : ، مرجعة : أحمد حبيبي ، مطبعة : أفريقيا الشرق – (د- ط)،(1987م) الدار البيضاء .

24. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت546هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ،دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان،(الطبعة الأولى)، (1422هـ -2001م).
25. معجم التعريفات ،أبو الحسين علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت816هـ)، حققه وقدم له إبراهيم الإبياري ، دار الريان للتراث – (القاهرة ـ مصر) (د- ط)،(د.ت).

26. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب المصرية ، (مصر – القاهرة) (1364)،(د- ط).
27. معجم مقاييس اللغة ،ابن فارس ،تحقيق وضبط:عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ،(د- ط)،(1399هـ - 1979م).

28. مفردات ألفاظ القرآن ، تأليف : أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)،تحقيق :صفوان عدنان داوودي ،دار القلم ، دمشق ،(الطبعة الرابعة)،(1430هـ -2009م).
29. مقدمة ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (732-808هـ) ، حقق نصوصه ، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه :عبد الله محمد الدرويش ، دار البلخي – دمشق ،(الطبعة الأولى)،(1425هـ -2004م).
30. النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي ، د - محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق – مصر - القاهرة ، (الطبعة الأولى)،(1420هـ -2000م).

الأطاريح والرسائل الجامعية

1. أثر السياق في توجيه المعنى دراسة تطبيقية في صحيح مسلم ، مريم وصل الله ،جامعة طيبة - كلية الآداب والعلوم الانسانية – السعودية (2010م).(أطروحة دكتوراه).
2. البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ،ابتهال كاصد ياسر ، جامعة بغداد – كلية التربية للبنات ، (2004م) (أطروحة دكتوراه).
3. التغير الدلالي ومستوياته في الخطاب القرآني دراسة دلالية تحليلية للحقائق العرفية والحقائق الشرعية في الاستعمال القرآني ، مرازي حكيمة ، جامعة جيلالي ليابس /سيدي بلعباس ، كلية الآداب والفنون واللغات ، الجزائر ، (2017م). (أطروحة دكتوراه) .

البحوث المنشورة

1. أثر السياق القرآني في تغير دلالة الألفاظ ، عبد الكريم خالد عناية ، وحسام أحمد هاشم ،(بحث منشور) ، مجلة آداب البصرة ، العدد (69) ،(2014م) .
2. دلالات مصطلح الكيد في القران الكريم ،عودة عبد الله ، وزهران زهران ، مجلة جامعة النجاح (العلوم الانسانية) (بحث منشور)، فلسطين ، المجلد : 31(9)، (2017م).